الحادي عشر من أيلول / سبتمبر و"الدين المدني الأمريكي" المعاصر

كوإيتشي موري (Koichi Mori)

الكلمات الرئيسية
أمريكا، الدين المدني، الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، الحرب العراقية، الرئيس بوش

المستخلص

في مواجهة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر اجتمع الشعب الأمريكي معاً تحت العلم الوطني وإله الإنجيل ، وذلك لأن تسعين بالمائة من الشعب الأمريكي يؤمنون بالله. وبعد مرور ثلاثة أيام من هجوم الخادي عشر من أيلول / سبتمبر عقد حفل تحت اسم " اليوم الوطني للصلاة والتذكر " في كاتدرائية واشنطن الوطنية ، وصلى إمام مسلم في الاحتفال، وقد يكون هذا دلالة على أن الإسلام سيكون عنصراً في الدين المدني الأمريكي جنبا إلى جنب مع المسيحية واليهودية.

وبالنسبة للولايات المتحدة ترتبط قضية حرب العراق بعمق بقضية تأسيس الأمة، حيث يؤمن الشعب الأمريكي بمهمة ترسيخ حقوق الإنسان لكل سكان العالم، وهذا ما برره الدين المدني الأمريكي ، ولكنه انتقد سياسات الحكومة من منطلق التعالي ، ومع ذلك، يفتقد فهم بوش لأمريكا عنصر النقد الذاتي ، ويمكننا أن نقول بأنها " أصولية أمريكا ".

حديث الرئيس بوش الديني

في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام 2001م وقع هجوم إرهابي على مراكز القوة الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، القوة الأعظم الوحيدة في العالم عسكرياً وسياسيا، ويجب تحليل تلك الحادثة بذاتها وذلك الهجوم الإرهابي بشكل أكاديمي ودراسته دراسة شاملة توضح مقاصد ردة فعل أمريكا بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.

ما هي مقاصد الولايات المتحدة من خوض الحرب في العراق ؟ لقد طرح هذا السؤال وحلل وحظي بإجابات متعددة من قبل العلماء، حتى في اليابان ، وكان التحليل المسموع كثيراً هو أن هدف أمريكا هو النفط أوسيطرة الولايات المتحدة على الشرق الأوسط ، ولكن لا يبدو أن هذا التحليل قادر تماماً على الإجابة عن السؤال.

ولو حدث هجوم الحادي عشر من أيلول / سبتمبر في بلد غير الولايات المتحدة، في أحد البلاد الأوربية مثلاً ، فهل سيتصرف ذلك البلد بنفس طريقة الولايات المتحدة؟. وكمبرر الحرب هل سيستخدم ذلك البلد ذلك النوع من اللغة الدينية التي كان الرئيس بوش يفسر بها الحرب على العراق؟

في شهر آذار /مارس تقريبا عام 2003م بدأت وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى تشير إلى المعتقدات الدينية وراء أفعال الرئيس بوش، فقد تضمن عدد نيوز ويك (News Week) الصادر في 20 آذار/ مارس عام 2003م مقالة خاصة بارزة عن

" بوش والله ". ونشر ستيفن مانسفيلد (Stephen Mansfeld) " عقيدة جورج بوش في عام 2003م " مؤكداً على تأثير عقيدة الرئيس في صنع السياسية.[1]

وفي رأيي أن اللغة الدينية التي يستعملها الرئيس بوش هي نتيجة حساب منطقي بارد من طرف مستشاري البيت الأبيض وليست تعبيراً عن معتقدات الرئيس الدينية المشبوبة، ويجب أن ينظر إليها على أنها خطاب يعكس تأثير اليمين المتدين.

من المهم أن نعير الاهتمام إلى التأثير السياسي لليمين المتدين. ويبدو أن الذين يعيشون خارج الولايات المتحدة يقللون من شأن هذا التأثير فاليمين المتدين هو تلك الفئة من الأمريكيين الذين يتخذون مواقف إيجابية بحيث تنعكس قيمهم المحافظة وفهمهم لعقيدتهم في السياسة، ونستطيع أن نقول إنهم " إنجيليون متسيسون ". وتقوم أعمالهم السياسية على الإدلاء بأصواتهم والمساعدة في الحملات الانتخابية والانخراط في النشاطات التي تؤثر في رأي النواب.

وطبقاً لاستطلاع جالاب (Gallup) كانت النسبة المئوية للمواطنين الذين وصفوا أنفسهم بأنهم ينتمون إلى اليمين المتدين 18% .[2] وهم يتألفون من مجموعة من الناس الذين يظهرون عند صناديق الاقتراع ، وإذا أخذنا في الاعتبار حقيقة الحضور الفعلي للمقترعين في الانتخابات الرئاسية عام 2000م نلاحظ أنه كان 51% من العدد الكلي للمقترعين المسجلين فمن السهل إذن أن نفهم كم كانت قوة التأثير السياسي لتلك المجموعة كبيرة.

وأما نتائج الانتخابات الرئاسية لعام 2004م فتظهر حضور المقترعين بنسبة 60% وكما هو معهود كلما زادت نسبة الاقتراع تدنى تأثير الكتل البارزة من المقترعين، ويقال بأنه في الانتخابات الرئاسية لعام 2004م لعب اليمين المتدين دوراً حاسماً في إعادة انتخاب الرئيس بوش ، ومن الواضح أن الحزب الجمهوري كان له دور بارز في تجنيد وجمع أصوات اليمين المتدين أكثر مما كان في الانتخابات الرئاسية السابقة.

ولمزيد من فهم قوة التأثير السياسي لليمين المتدين أود أن أقارنها بقوة الأمريكيين الأفارقة ، فالنسبة السكانية للأمريكيين الأفارقة في الولايات المتحدة هي 12% ، وبعبارة أخرى فإن نسبة اليمين المتدين هي أكثر من نسبة الأمريكيين الأفارقة بمرة ونصف ، واليمين المتدين هو أكبر كتلة تدعم الحزب الجمهوري وهذا يعني أنه بدون ذلك الدعم لا يمكن لأحد أن يكون مرشحاً جمهورياً أي لا يمكن أن يصبح رئيساً، وكان للانتخابات الرئاسية في عام 2004م أهمية كبيرة للرئيس بوش منذ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.

لهذا فمن الطبيعي أن يكون منهمكاً بالخطابات و الأعمال السياسة التي تعترف بوجود اليمين المتدين.

و على هذا فإن المحافظين الجدد واليمين المتدين هم رأس وجسم الدعم لإدارة بوش ، وكلا الفئتين تعتبران أقلية كما يراهما الرأي العام.

ولكن يكمن سبب تأثيرهما القوي على إدارة بوش في ذكرى الحادي عشر من أيلول الكامنة في قلوب الأمريكيين والخوف المترتب عليها ، وفي الحقيقة فإن "

القضية " التي تبرر أعمال الولايات المتحدة العسكرية بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر يدعمها رأي عام عريض.

وإذا ما نظرنا إلى ردود فعل الرئيس بوش والمجتمع الأمريكي إبان الحادي عشر من أيلول / سبتمبر وبعده فإن هدف هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على بعض المظاهر الحالية ذات البعد الديني في المجتمع الأمريكي والبحث عن بعض المميزات الدين الأمريكي.

ردود الفعل الفورية بعد الحادي عشر من أيلول /سبتمبر

بعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر صار علم الولايات المتحدة المزين بالنجوم يوضع في كل مكان ، وردة الفعل الوطنية هذه يمكن أن تظهر في أوربا لو حدث هجوم الحادي عشر من أيلول / سبتمبر في أحد بلدانها ولكن الولايات المتحدة سبقتها بخطوة ، و انتشرت بسرعة كلمات " فليبارك الله أمريكا " والأغنية الوطنية التي عنوانها " فليبارك الله أمريكا " في كل أرجاء الولايات المتحدة. ولا توجد أي مبالغة حين نقول بأن الأمريكيين يشعرون بعاطفة أكبر تجاه هذه الأغنية من عاطفتهم تجاه النشيد الوطني، حيث أصبحت أغنية " فليبارك الله أمريكا " في المحل الثاني بعد النشيد الوطني.

فليبارك الله أمريكا
الأرض التي أحب
قف بجانبها وخذ بيدها
خلال الليل و النور من فوقها
من الجبال إلى البراري
وإلى المحيطات البيضاء بالزبد
فليبارك الله أمريكا فهي بيتي بيتي الحلو
فليبارك الله أمريكا فهي بيتي بيتي الجميل

وفي أمسية الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر اجتمع عدد كبير من أعضاء الكونغرس حول الدرج الحجري الأمامي لمبنى الكونغرس الأمريكي بأيدٍ متشابكة وأنشدوا هذه الأغنية ، وعرض هذا المشهد على التلفاز في طول البلاد وعرضها وفيما بعد ذكر الرئيس بوش في خطابه في 20 أيلول / سبتمبر هذا المشهد وقال بأن قلوب جميع الناس الذين شاهدوه قد تأثرت بعمق.

وقد حاول الرئيس بوش بأن يوحد الناس تحت علم الولايات المتحدة في هذه الأزمة غير المسبوقة وباسم الله. و" الله " هنا ليس بالمعنى المفهوم الشائع بل باسمه العَلَم في الإنجيل المقدس ، وهنا يكمن تميز الدين الأمريكي.

لقد كنت في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر حين جرى الهجوم الإرهابي في مدينة بيركلي في كاليفورنيا ، وحوالي الساعة الثامنة من نفس المساء كنت أقود سيارتي قرب حرم جامعة كاليفورنيا في بيركلي ، ولاحظت كثيراً من الناس يتجهون نحو الحرم الجامعي ، فترجلت من السيارة وانضممت إليهم ، واجتمع قرابة ألفي شخص في ساحة الحرم الجامعي يحملون الشموع في أيديهم ، وقد ذكرني هذا

بالمشاهد التي ألفتها حينما كنت أعيش في بيركلي أوائل السبعينات من القرن الماضي ، وكنت أظن أنه من النادر جداً في العقود القليلة الماضية أن يجتمع هذا الجمع الغفير من الناس من أجل قضية سياسية في جامعة أمريكية.

وقد تمثل هذا الحدث الجامعي في شكل خطابات حرة ألقاها طلاب من فلسطين وممثلون لمنظمات طلابية أمريكية يهودية وغيرهم واحداً تلو الآخر. وكان هناك تصميم في بعض الخطابات على تعظيم مكانة أمريكا القومية ولكنها قوبلت بالاستخفاف ، وقد سيطر على الطلاب حقيقة مواجهة أزمة قومية لم يعهدوها من قبل ، ولكن كانت اللهجة السائدة للخطابات التأكيد على أمريكا بأن تفكر في السبب الذي دعا لهجوم الإرهابيين ، لقد كان نضج الطلاب مبعث راحة لي ، ولكن الرئيس بوش استخدم فيما بعد شعار " الحضارة أو الإرهاب " وحاول أن يبرهن على العدالة المطلقة لمقاومة الإرهاب ، وفي أعقاب هذا الموقف الرسمي تلاشى الجو الذي دعا إلى التساؤل بجد عن سبب الهجوم على الولايات المتحدة.

وفي أول يوم أحد تلا الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، وفي السادس عشر من الشهر نفسه ، ذهبت إلى سان فرنسيسكو لأحضر قداس الكنيسة المنهجية المتحدة في جلايد ميموريال (Glide Memorial) وهي من أهم الكنائس في المدينة ، وجلايد هي الكنيسة التي قدمت فيها " مستقبل الحلم الأمريكي " وهو آخر فصل في كتابي ("مستقبل أمريكا" نظرة من الدين). وكتبت أن كنيسة جلايد ميموريال هي مثال جيد لطريق الأمل الذي على أمريكا أن تنهجه.

كان وصولي قبل القداس بنصف ساعة ، لكني تفاجأت أمامي بطابور من الناس طوله 800 متراً ، عندئذ فقدت الأمل بحضور القداس وشعرت بخيبة أمل كبيرة ، ولم يكن ذلك الطابور الطويل من الناس الذين ينتظرون دخول الكنيسة هو الطابورالوحيد ، فطبقاً لاستطلاع جالاب (Gallup) ازدادت نسبة حضور القداسات في أمريكا من 40% إلى 47% مباشرة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر [3].

وقد أظهر استطلاع جالاب بأن نسبة حضور قداس يوم الأحد قد بقيت 40% تقريباً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهذه النسبة مهمة جداً إذا ما قورنت بنسبة الأمم الأوربية المسيحية السابقة والتي هي حوالي 10%.

أجري استطلاع جالاب في كانون أول 2001م ، وكان السؤال المطروح " هل الدين مهم في حياتك؟" وأظهر أن 86% من الأمريكيين أجابوا بأن الدين " مهم جداً " أو " مهم ". وطرحت منظمة جالاب نفس السؤال على 10 آلاف شخص في تسعة أقطار إسلامية. وكان جواب 72% منهم بأنه " مهم جداً " أو "مهم " [5]. وهذا يدعو للاهتمام إذ أنه يوحي بأن أمريكا أكثر تديناً من بعض الأقطار الإسلامية.

فصل الدين أو الكنيسة عن الدولة في الولايات المتحدة

عقد في 14 أيلول/سبتمبر 2001م ، بعد ثلاثة أيام من الهجمات الإرهابية اجتماع " اليوم القومي للصلاة والتذكر " في كاتدرائية واشنطن القومية ، وقد أعطي اسم قومية لهذه الكاتدرائية لا على أساس أن الدولة تديرها ، فهي كنيسة أسقفية (Episcopal) تابعة في تقليدها إلى كنيسة انكلترا في الولايات المتحدة.

إن لأمريكا من قضية فصل الكنيسة عن الدولة موقفاً مغايراً عما هو عليه في اليابان أو فرنسا، فالمادة الأولى من تعديلات الدستور الأمريكي تنص بوضوح على فصل الكنيسة عن الدولة لأول مرة في التاريخ الإنساني و تبدأ بالشكل التالي:

"يجب على الكونغرس أن لا يشرع قانوناً يتعلق بإقامة دين أو منع الممارسة الحرة له..."

وإن الحكم التشريعي ومنذ أمد بعيد ينص على أن هذا التعديل يمنع إقامة دين قومي أو إعطاء معاملة خاصة لمنظمة دينية معينة، وفي الوقت نفسه فهو يحترم " الممارسة الحرة " لأي دين ليس فقط في السر بل في العلن وفي المجالات العامة ، وهذا يعني أن فهم أمريكا لفصل الدين عن الدولة ليس فصلاً تاماً للدين عن السياسة كما هو الحال في اليابان وفرنسا، ولكنه فصل للكنيسة أو منظمات دينية محددة عن الدولة من ناحية ، أو المؤسسات العامة بما فيها الحكومة من ناحية أخرى.

فيُحظُّر في أمريكا على أي مؤسسة عامة حكومية أن تمنح الهبات لمنظمة دينية معينة ككنيسة أو جماعة دينية ، ولكن التقليد جرى في أمريكا على أن الدين يستطيع أن يلعب دوراً معيناً في المجال الأمريكي العام لأنه العامل المشترك الأكبر بين الناس.

أطلق على الدين الذي يلعب دور إشراك الولايات المتحدة في القطاع العام (في مجالات مثل السياسة أو التعليم العام) اسم " الدين المدني في أمريكا " من قبل روبرت ن بيلا (Robert N. Bellah) الذي استعار هذا الاصطلاح من العقد الاجتماعي لروسو (Rousseau) [6] وقد ترجمت هذا الاصطلاح في مكان آخر بعبارتي الخاصة " الدين القومي اللا مرئي "[7].

وإن إقامة احتفال وطني باسم الرئيس في كاتدرائية تخص منظمة دينية محددة تدعى الكنيسة الأسقفية هو بكل جلاء ضد المبدأ الأساسي الذي يحظر إقامة دين قومي في التعديل الأول للدستور ، حتى لو كان ذلك بغرض قداس لإحياء ذكرى كارثة قومية ، ونظن أن غرض البيت الأبيض في هذه المسألة هو إعطاء الأولوية لوحدة الأمة ولو كان في ذلك نقض للمبادئ الأساسية في فصل الدين أو الكنيسة عن الدولة.

الإسلام والدين المدني في أمريكا

ضم قداس الذكرى شيئاً لم تشهده الاحتفالات العامة من قبل ، فقد دُعي إمام مسلم ليشترك في القداس ، وهي أول مناسبة في التاريخ يؤدي فيها زعيم مسلم دوراً في احتفال عام على المستوى القومي.

بدأ قداس الذكرى بالدعاء الافتتاحي الذي توجَّه به المحترم ناثان د.باكستر رئيس كاتدرائية واشنطن القومية ، وخاطب فيه " إله إبراهيم ومحمد وأب ربنا عيسى المسيح ".

وكانوا في الاحتفالات العامة في السابق يتجنبون كلمات " عيسى المسيح " عن عمد ، وهذا لأن الدين المدني في أمريكا اليوم قائم على التقليد اليهودي المسيحي ، وبعبارة أخرى،إن استعمال كلمات "عيسى المسيح " يهمِّش اليهودية. ومع ذلك

حاول قداس الذكرى أن يشير إلى التعايش والمشاركة في الديانات التوحيدية الساميِّة الثلاث.

ولم يقدم الإمام الدكتور مزمل هـ صديقي من الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا دعاءه في الكاتدرائية القومية بالعربية بل بالإنكليزية ، وترجم كلمة " الله " الإسلامية بالكلمة الإنكليزية " رب " وهي نفس الكلمة التي تدل على " الرب " إله المسيحية ، وبدأ دعاءه بالعبارة الإسلامية بالإنكليزية " باسم الله الرب الرحمن الرحيم ".

وقرأ الحاخام جوشوا هبرمان من فصول " الندب " في الكتاب المقدس العبراني ، وبدأت قراءته بالكلمات " الحب الدائم **للرب** لا يتوقف أبداً.." فأصبحت كلمة **رب** هذه الكلمة الرئيسة طوال قداس الذكرى في اليوم الوطني للصلاة والتذكر معبرين عن الرسالة بأن اليهودية والمسيحية والإسلام هي "أديان الإخاء " تؤمن بـ " رب " واحد ، وبعبارة أخرى، قُدمت الرسالة في ذلك اليوم بأن دين أمريكا المدني الذي يعني بكلمة " **رب** " حتى ذلك الوقت ما يفهم في التقليد اليهودي المسيحي قد ضمَّ الإسلام في إطاره وهكذا أصبح " الرب " لديه هو نفسه في كل الأديان الإبراهيمية.

وهذه الشمولية بالغة الأهمية. ولو عُمل بها في اليابان لكانت قراراً عظيماً لا يصدق يعادل ضم ديانات غير الشنتو (Shinto) في الاحتفال بتنصيب الإمبراطور أو جنازته.

ويعكس هذا الأسلوب في التعامل مع الإسلام وتمثيله في اليوم القومي للصلاة والتذكر قصداً دبلوماسياً من جهة إدارة بوش وهو إظهار أن حرب أمريكا ضد الإرهاب ليست حرباً على الإسلام أو الدول العربية ولكن ضد الإرهابيين.

والسؤال الآن هو " كيف يتقبل المجتمع الأمريكي الإسلام" ؟ الإسلام الأمريكي متنوع و درجة أمركة الإسلام مختلفة في كل حالة ، وخلافاً لنوايا البيت الأبيض يظل الإسلام " ديناً أجنبياً " لدى الرأي العام ، ولا يوجد بيانات دقيقة حول عدد المسلمين في الولايات المتحدة، وحتى المنظمات الإسلامية ليس لديها أرقام دقيقة ، وو وفقاً لأكثر البيانات وثوقاً يظهر استطلاع جالاب 2.5 مليون مسلماً تقريباً والذي هو أقل من 1% من مجموع السكان ، ويقدر بعض العلماء أن الرقم يصل إلى 7 مليون.

وأظن أن سبب الاختلاف في هذه التقديرات يعكس الجو الاجتماعي للولايات المتحدة حيث لا يستطيع المسلمون إلا أن يترددوا في تحديد هويتهم بهذا الشكل أمام سؤال استطلاع جالاب "ما هو تفضيلك الديني ؟".

ولدى الإسلام الذي هو أحد الأديان الإبراهيمية استعداد أكبر للأمركة من البوذية أو الهندوسية ، ولكن إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أن الكنيسة الكاثوليكية استغرقت حوالي قرن لكي تتأمرك، فمن الواضح أن الإسلام قد لا يجد ذلك سهلاً جداً.

وهناك شرطان ضروريان لكي يكون للإسلام الأمريكي جزءاً من الدين المدني الأمريكي ، فمقارنة تاريخ أمركة الكاثوليكية قد تنفع هنا ، و أول الشروط هو تمثل الأفكار الأمريكية مثل الجمهورية والديموقراطية مع الدين ، ففي حالة الكنيسة

الكاثوليكية كان هذا يعني ديموقراطية الكنيسة ، و إعلان استقلالها عن الفاتيكان ، والشرط الآخر هو القبول المسؤول لمصير أمريكا على قدم المساواة مع الدين ، وبعبارة أخرى، على المرء أن يصبح مسلماً يفتخر بكونه أمريكياً ، ولا يستطيع الإسلام أن يشكل جزءاً من الدين المدني الأمريكي طالما أن " المسلمين السود " يشيرون إلى أنفسهم على أنهم " أمة الإسلام " وينظرون سلبياً إلى كونهم أمريكيين.

" الإله " وسبب حرب العراق

ظل الرئيس بوش يكرر منذ أن قدم خطابه في الاجتماع المشترك للكونجرس في 20 أيبول/سبتمبر 2001م تأكيده بأن الهجوم الإرهابي كان ضد الحرية والمدنية ، ويبدو أن المدنية هنا على أي حال تعني "المدنية الأمريكية " وتفسر الولايات المتحدة الأمريكية" المدنية الأمريكية " بأنها الفهم العالمي الكوني.

وماذا تعني " المدنية الأمريكية ؟" يصر الرئيس بوش في سلسلة خطاباته على أن " الحرية " عامل مهم في " المدنية الأمريكية " وهذه " الحرية " هي السبب الذي دعا لتأسيس أمة أمريكا ، ولا نبالغ إذا قلنا بأن أهمية الوجود الأمريكي تكمن في تحقيق هذه " الحرية ".

وكان الهجوم الإرهابي على أبنية مركز التجارة العالمي هجوماً على رمز " المدنية الأمريكية " ، ويحتوي الشكل الخلفي للختم الكبير للولايات المتحدة " هرماً غير مُنتهي " وهو يرمز إلى الصفة المميزة "للمدنية الأمريكية " ويشير الهرم غير المنجز إلى أن أمريكا على درب استكمال مدنيتها ، وإن السعي لهذا الاستكمال في المستقبل هو الذي يجعل أمريكا كما هي عليه ، وأن صعود السلم نحو تحقيق هذا المستقبل هو " الحلم الأمريكي " ، ويمكن أن يقال بأن البرجين التوأمين لمركز التجارة العالمي كانا رمزاً لهذا المظهر من الحلم الأمريكي ، وكان على الشعب الأمريكي أن يشاهد على التلفاز منظر البرجين وهما يتداعيان ، ولا نبالغ إذ نقول بأن الشعب الأمريكي حدَّق في هلعٍ خائفاً من انهيار " المدنية الأمريكية ".

والحلم الأمريكي هو " الحلم نحو الأعلى ". وأظن مع ذلك بأن هناك فعلياً مفهومين للحلم الأمريكي

الأول: الحلم على صعيد حياة الفرد بأن يستطيع كل شخص أن يصبح أغنى من جيل والديه ، ويفرح كل الناس بأن لهم الحق بانتهاز الفرصة لتحقيق النجاح الاقتصادي وهذه هي القوة الدافعة لتوحيد أمريكا، بلد المهاجرين على اختلاف أنواعهم ، وعندما ييأس الناس من الحلم الأمريكي يطرأ احتمال بانيهار وحدة المجتمع الأمريكي ، والمثال على هذا هو الشغب الذي قام به الأمريكيون الأفارقة عام 1991م .

والمفهوم الثاني هو حلم الأمة الذي يأخذ البعد الاجتماعي للحلم ، وهو الحلم الذي عبر عنه مارتن لوثر كينغ الأصغر في نهاية خطابه عند الدرجات المؤدية إلى نصب لينكولن عام 1963م إبان المسيرة إلى واشنطن ، حين قال في خطابه بأن حلم الأمريكيين الأفارقة هو " حلم عميق الجذور في الحلم الأمريكي".

إذاً ما هو " الحلم الأمريكي " وراء كلمات مارتن لوثر كينغ الأصغر أو ما هي فكرة أمريكا عن المستقبل المشترك؟ والجواب هو " سبب إيجاد أمريكا " وهو ما أعلنته أمريكا للعالم في وثيقة " إعلان الاستقلال ".

إننا نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها بأن الناس خلقوا متساويين وأن الخالق منحهم حقوقاً أصيلة من بينها الحياة والحرية وطلب السعادة.

وإن الحقوق المتساوية في الحياة والمساواة وطلب السعادة هي المفاهيم الأساسية لحقوق الإنسان الأصلية ، وكان بإمكان " الآباء الذين أنشأوا أمريكا " أن يعبروا عن مفاهيم أمريكا الأساسية بكلمات غير دينية بشكل يؤكد على المساواة الإنسانية والحقوق الأصيلة ، ولكن كان من اللائق أكثر وطبيعياً أكثر في تلك الفترة استخدام الكلمات الإنجيلية أو كلمات الدين المدني الأمريكي مثل " كل الناس خلقوا متساوين " وأن خالقهم منحهم حقوقاً أصيلة معينة.

ولم يختلف الوضع حتى اليوم ، فقد ذكرت آنفاً في هذه الورقة أن عبارة "ليبارك الله أمريكا " انتشرت بسرعة بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في طول البلاد وعرضها ، وتعني كلمة " الله " هنا " إله الكتاب المقدس ". وبالنسبة لمن يؤمنون بعقيدة " التقليد اليهودي المسيحي " فإنها تشمل المسيحية البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية وكذلك اليهودية والمورمونية وهي تصل إلى 90% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، لهذا كان من الطبيعي أن نشرح " قضية " أمريكا بعبارة " الله ". ولا يوجد كلمات أخرى تحل محل " الله " كرمز يوحد أمريكا المتنوعة.

وهزَّت المعاملة السيئة للسجناء العراقيين من قبل القوات الأمريكية في سجن أبو غريب التي كُشفت في أيار/ مايو 2004م أركان أمريكا فيما يتعلق بمفهوم القضية في حرب العراق ، وأدرك الرئيس بوش في وسط الحملة الانتخابية بأن هذه الحادثة تمثل حجر العثرة في طريق إعادة انتخابه ، وكان الرئيس بوش قد أعلن من بين أسباب أخرى بأن قضية أمريكا هي تحرير الشعب العراقي من ظلم صدام حسين واستعادة حقوقهم الإنسانية.

وأتت الرئيس بوش ريح مؤاتية مباشرة بعد تسليط الضوء على قضية الإساءة للسجناء أسهمت في إنقاذه من الأزمة فقد بدأت ولاية مساتشوسيتس (Massachusetts)، والتي هي موطن المرشح الجمهوري جون كيري (John Kerry)، بقبول تسجيل زواج المثليين في 17 أيار/مايو 2004م ، وقد صدم هذا النبأ ، باتخاذ الخطوات لاضفاء الشرعية على الزواج المثلي ، المؤمنين الإنجيليين المخلصين بشدة وكذلك المعتدلين منهم ، واستغل الرئيس بوش هذه الأزمة بكل براعة والتي تصيب مفهوم القيم والأخلاق ، وانتقد جون كيري وحاربه حتى النهاية ، ولم يستطع كيري أن يوضح موقفه بجلاء حول زواج المثليين ، وبهذا تمكن الرئيس بوش من التغلب على أكبر أزمة واجهها في حملة إعادة انتخابه.

يمين الولاء

وجد الأمريكيون منذ العصر الثوري للاستقلال أنه من المفيد أن يفهموا ويعبروا هن هويتهم القومية الأمريكية فيما يتعلق بـ " الله " ، ولكنهم قد همَّشوا في هذا المنحى من التفكير أولئك الذين يعتقدون في الدين المدني الأمريكي على شكل يغاير معتقداتهم الدينية ، وكان حكم المحكمة عام 2002م التي أعلنت أن يمين الولاء غير دستوري وردود الرأي العام تجاهه أمور يجدر دراستها.

حكمت دائرة محكمة الاستئناف الأمريكية التاسعة في سان فرنسيسكو بأن إلزام طلاب المدارس العامة بيمين الولاء غير دستوري ويجب أن لا يُردد لأن العبارة الواردة فيه " أمة واحدة تحت إله واحد " تساند ديناً محدداً وتنتهك التعديل الأول للدستور بفصل الدين عن الدولة ، وادَّعى طبيب لا يعترف بوجود الله بأن إكراه ابنته على ترديد يمين الولاء هو ضد حرية الدين التي يضمنها الدستور. وحكمت المحكمة الفيدرالية بأن إلزام المدارس العامة بيمين الولاء قد انتهك فصل الدين عن الدولة.

وعلى الفور ردَّت الهيئات التشريعية والتنفيذية الحكومية على هذا القرار التشريعي " وقال السكرتير الصحفي للبيت الأبيض آري فليتشر بأن الرئيس بوش يؤمن بأن الحكم يدعو للسخرية", وبالإجماع أصدر مجلس الكونجرس قراراً معاكساً وأبدى مجلس الشيوخ كذلك معارضته بأغلبية ساحقة ، ومن المحتمل جداً أن يكون أعضاء الكونغرس قد أدركون المشاعر العامة لدوائرهم الانتخابية ، وطبقاً لاستطلاع الرأي العام الذي أجرته شبكة تلفزيون ABC وصحيفة الواشنطن بوست فإن 84% من الشعب الأمريكي ضد حكم المحكمة الفيدرالية وأجاب 89% منهم بأن عبارة " أمة واحدة تحت إله واحد " يجب أن تبقى في يمين الولاء.[8] وهذه النسبة مطابقة لعدد الذين يؤمنون بالله ، وقد اعتمد حكم الدائرة التاسعة لمحكمة الاستئناف في سان فرنسيسكو على تعهدها بمساندة فصل الدين عن الدولة وعلى حرية الدين ، ولكنه نأى عن الحكم الصادر من أغلبية الرأي العام الأمريكي أو خصوصية أمريكا بقبول " الله " كأكبر عامل مشترك في تدينها الذي يُقر التنوع ويسعى وراء الوحدة، دون أن يكون له صلة خاصة بأي دين محدد أو منظمة دينية بعينها ، وإذا تأملنا حقيقة أن حكم المحكمة قد صدر بعد سنة واحدة فقط من الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، فلهذه القضية توقيتها السيئ ، ولا تعني ردود فعل الحكومة والرأي العام الأمريكي تحولاً محافظاً مفاجئاً في المجتمع الأمريكي ، وقطعاً لم تكن ردة فعل الحكومة بسبب تحول السيطرة من الحزب الديموقراطي إلى الحزب الجمهوري ، وقد بيَّن الرئيس السابق كلنتون في " مذكرته حول التعبير الديني في المدارس العامة " عام 1995م:

> " رغم أن المدارس العامة يجب أن تكون حيادية فيما يتعلق بالدين إلا أنها يمكن أن تلعب دوراً فعالاً في تعليم القيم المدنية والفضيلة والمنظومة الأخلاقية التي تضم شملنا معاً كأمة ، وإذا كانت الأديان تؤمن ببعض هذه القيم فهذا لا يجعل تعليمها في المدارس غير شرعي.

ويقر كلنتون التعبير الديني في المجالات الثلاث التالية:

1. للطلاب نفس الحق في القيام بالصلاة الفردية أو الجماعية أو المناقشة الدينية أثناء اليوم المدرسي كما لهم الحق في ذلك في النشاطات المدرسية الأخرى.
2. قد لا تقدم المدارس العامة التعليم الديني ولكن يمكنها أن تقدم دروسا حول الدين بما في ذلك الإنجيل أو الكتب المقدسة الأخرى وحول تاريخ الدين والأديان المقارنة والإنجيل أو الكتب المقدسة الأخرى كنصوص أدبية ودور الدين في تاريخ الولايات المتحدة والبلدان الأخرى ، فهذه كلها موضوعات مسموح بها في المدارس العامة ، وكذلك يسمح بدارسة التأثيرات الدينية على الفن والموسيقى والأدب و الدراسات الاجتماعية.
3. تعطى النشاطات الدينية الطلابية نفس التسهيلات التي تعطى للنشاطات العلمانية الطلابية.[9]

لقد كتبت المذكرة بحساب دقيق للاتجاهات في الرأي العام لكي يفوز كلنتون في الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية في السنة التالية ، وبعبارة أخرى لقد تم الترويج لها على أنها ... الوسط الأمثل للمدارس العامة واضعين الرأي العام نصب أعينهم.

لقد نجحت استراتيجية كلنتون فقد نال دعم 35% من الجماعات الإنجيلية والتي معظم أعضائها من المساندين للجمهوريين ، وبالمقارنة مع كلنتون لم يستطع جون كيري أن يحصل على دعم أكثر من 21% من الجماعات الإنجيلية البيضاء[10]. لقد حول الكثير من " الجماعات الإنجيلية المعتدلة " الذين ساندوا كلنتون دعمهم من الحزب الديموقراطي إلى الحزب الجمهوري، وهذا عامل حاسم في نتيجة الانتخابات الرئاسية الأخيرة.

وطبقاً لاستطلاع الرأي القومي الذي أجراه مركز الأبحاث الديني في جامعة برنستون (Princeton) بعد شهرين من نشر مذكرة كلنتون يظهر الرأي العام الأمريكي استجابة مهمة ، فجواباً على سؤال " هل توافق على تعديل الدستور بالسماح للطلاب أن يؤدوا صلاتهم في المدارس العامة؟" كانت النتيجة 71% " نعم " ، وعلى السؤال الثاني " إذا كان الجواب بالايجاب هل يلزم أن تكون الصلاة أساساً مسيحية أم صلوات الأديان الكبرى بما فيها المسيحية؟" وهنا أجاب 81% من الناس بأن الصلوات يجب أن تكون من الأديان الكبرى[11].

يظهر موقف الشعب الأمريكي اليوم فيما يتعلق بـ " الدين المدني " الواضح في نتيجة هذا البحث على الشكل التالي: حتى ولو احترمت التعددية الثقافية حالياً، فإن الدين المدني ضروري ليوحد الأمة، و يجب أن يتم زرع هذه الفكرة حول " الدين المدني " حتى في المدارس العامة ، ومع ذلك، يجب الاهتمام بأن يضم محتوى الدين المدني التقاليد الدينية غير المسيحية ـ اليهودية وبشكل أكثر عناية من ذي قبل.

إذاً ما هو المحتوى بالضبط لهذا الدين المدني؟ أم هل يطالب الرأي العام الأمريكي بالتعددية الثقافية القائمة على التسامح مع الآخرين على مستوى أهمية

وجود الأمة وليس دينها المدني؟ فإن كان هذا الأمر هكذا فالسؤال هل من الممكن لأي ديني مدني تعددي أن يكون له نفس القوة في توحيد الولايات المتحدة كالدين المدني المسيحي ـ اليهودي ب " إله الإنجيل " رمزه الجوهري ، وفي تكامل الأمة عندما واجهت الولايات المتحدة الكارثة القومية في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر والتي لم تعهدها من قبل؟.

الفهم الأمريكي للحضارة وإدراك المهمة

يستعمل الرئيس بوش في خطابه عبارات " حضارة " و" حرية " بشكل متواز دون تقديم تعريفات دقيقة ، ويبين أن الحادي عشر من أيلول/سبتمبر كان هجوماً على " الحضارة " و" الحرية "، وهجوماً على " قضية " الولايات المتحدة ، ويمكن أن نقتفي أصل فهم الرئيس بوش " للحضارة " إلى الحرب الأمريكية الإسبانية في نهاية القرن التاسع عشر عام 1898م.

كانت الحرب الأمريكية الإسبانية تحولاً في السياسة الدبلوماسية للولايات المتحدة من تلك القائمة على عقيدة مونرو إلى تلك القائمة على الدبلوماسية النشيطة ، وتغيرت السياسة الخارجية الأمريكية تلك التي حصرت نفسها فقط في القسم الغربي من الكرة الأرضية (شمال وجنوب أمريكا) إلى سياسة بلا قيود. وبناء عليه استعمرت الولايات المتحدة الفيلبيين ووضعت هاواي وغوام وجزر المحيط الهادئ الأخرى تحت سيطرتها ، وأما بالنسبة لإضفاء الشرعية على استعمار الفليبين فقد قال الرئيس حينها السيد مكنلي (McKinley) " إن الولايات المتحدة تحكم الفيليبين لتعلم الفيليبين وتمدنهم وتدخلهم في المسيحية[12]. وتعني " تمدن " هنا تشريبهم قيم الحضارة الانجلوساسكونية، وفي عصر ماكنلي فهمت الولايات المتحدة الحضارة والتاريخ العالمي في حدود الأفكار التطورية للدارونية الاجتماعية ، ويكمن استئناف الفهم الشائع للحضارة عند إطلالة القرن قبل مائة سنة على النحو التالي: الحضارة ترتقي ومكانة الحضارة الانجلو سكسونية هي رأس عملية الارتقاء هذه ، وكانت بريطانية العظمى زعيمة هذه الحضارة ولكن الولايات المتحدة قد حلت محلها كزعيمة ، وألقى الله على عاتقها مهمة نشر حضارتها في كل أرجاء العالم ، وبعبارة أخرى، الارتقاء هو أن يحاكي العالم الحضارة الأمريكية ، التي تمثل يدورها (الحضارة) وإن روح الحضارة الانجلو سكسونية هي الجمهورية والديموقراطية والمسيحية.

ولم تفهم الولايات المتحدة قط الثقافات الأخرى على أساس نسبي أو رديفي بل فهمتها من منظور النمو ، وبمعنى آخر، إن الحضارة والحضارة الانجلو سكسونية والأمركة والنصرنة عملياً هي مرادفات للولايات المتحدة ، وأساساً لم يتغير مفهوم الحضارة قبل قرن عنه اليوم ، فالعولمة والأمركة على نفس المنحنى.

وفي نهاية الاحتفال بإحياء الذكرى الثانية للحادي عشر من سبتمبر خاطب الرئيس بوش الأمة من جزيرة إيليس (Ellis) تلك الجزيرة المجاورة لتمثال الحرية الذي يقف في ميناء نيويورك حاملا المشعل عالياً ، وكان هذا التمثال في الأصل يرحب بالمهاجرين القادمين إلى الولايات المتحدة من أوربا ، وكانت جزيرة إيليس

أول مكان دخول رسمي لأولئك المهاجرين الذين كانوا يجتازون الفحص الطبي ، واستغرق خطاب بوش سبع دقائق بما يكفي لإعلام الناس عن المثل الأعلى للولايات المتحدة الأمريكية ومعنى وجود الأمة وفيما يلي شيء من هذا الخطاب في تلك المناسبة:

.... كان الهجوم على أمتنا أيضاً هجوماً على مثلنا العليا التي تجعلنا أمة ، وإن إيماننا القومي العميق هو أن كل حياة غالية لأنها هبة من الخالق الذي يريدنا أن نعيش بحرية ومساواة ، وهذا ما يفصلنا أكثر من أي شيء آخر عن عدونا الذي نقاتله ، نحن نقدر كل حياة أما أعداؤنا فلا يقدرون شيئاً.... ولن نسمح لأي إرهابي أو طاغية أن يهدد الحضارة بأسلحة القتل الجماعي.... وتجاهد أمريكا لتكون متسامحة وعادلة ، إننا نحترم دين الإسلام بالقدر الذي نقاتل فيه تلك الأمم التي تدنس ذلك الدين ، إننا لا نقاتل لنفرض إرادتنا بل لندافع عن أنفسنا ونعمم خيرات الحرية. إننا نعلم أن الله جمعنا معاً في هذه اللحظة لنحزن معاً ولنقف معاً ولنخدم بعضنا ونخدم وطننا...ودعاؤنا الليلة هو أن يرانا الله ويجعلنا أهلاً لذلك... وطننا قوي ، وقضيتنا أكبر من وطننا ، إنها قضية الكرامة الإنسانية ، إنها الحرية التي يقودها الضمير ويحميها السلام ، هذا المثل الأعلى لأمريكا هو لقل كل البشرية. ذلك الأمل الذي جذب الملايين لهذا الميناء ، ولا زال هذا الأمل يضيء طريقنا ويضيء نوره في الظلام ولن يقهره الظلام ، فليبارك الله أمريكا".

وعلينا أن لا ننسى ما تعنيه عبارة " قضيتنا أكبر من وطننا ". لقد ذكر الرئيس بوش أن هناك أفكاراً وقيماً تسمو بالأمة ، والسؤال هنا هل نطق هذه الكلمات بفهم صحيح لأهميتها؟[4] هل يقر الرئيس بوش الدين الآخر في الدين المدني الأمريكي كما يمثله أبرا هام لينكولن ومارتن لوثر كينغ؟

مواجهة بين أصوليتين

كانت الأصولية في الأصل أحد المفاهيم المسيحية وكانت ذات مفهوم لاهوتي ، ولكن لهذه العبارة مدلولاً أوسع في الوقت الحاضر، ويمكن أن أفهمه كمايلي:

الأصوليون هم أولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفون الحقيقة وهي بالنسبة لهم واضحة جداً، وهي واضحة في الإنجيل والقرآن ، وهذا يعني أن الكتب المقدسة يجب أن لا تفسر بل أن يؤمن بها حرفياً بدون تفسير ، الأصوليون أناس محافظون فيما يتعلق بفهم عقيدتهم الدينية ، وليس لديهم قيم محافظة على الصعيد الشخصي فقط ولكنهم يحاولون أن يحققوها أيضاً في العالم الحقيقي عن طريق السياسة. وأقول إنه هنا يكمن الفرق بين الأصوليين و بين المؤمنين المتدينين المحافظين الآخرين ، والمفتاح هو أسلوب "المشاركة" في السياسية ، ويتراوح سلوك الأصوليين من الإرهاب إلى نشاطات المداورة السياسية من قبل أعضاء اليمين الديني.

ومن منطلق هذا التحليل ، وإذا وضعنا الأصولية الإسلامية جانباً ، فإن فهم الحضارة وفهم أمريكا كما يعكسها خطاب الرئيس بوش والسياسة الخارجية يتلخص بأنه أصولي ، وبهذا المعنى يجب أن تفهم أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ، وردود فعل الولايات المتحدة على أنها صراع بين أصوليتين؛ الأصولية الإسلامية والأصولية الأمريكية.

وأحد الصفات المميزة للأصولية أنها تجعل نفسها مطلقة ، وهذا بالطبع صفة كل دين ، فالدين ينهج الطريق الذي يجعله مطلقاً ولكن في الوقت نفسه فيما يتعلق في أصل الدين فلديه على الدوام إمكانية سلوك طريق السمو الذاتي.

وأحب أن أنظر في حالة الإسلام والمسيحية اليهودية ، فنجد أن أول وصية من الوصايا العشر "يجب أن لا يكون لك إله غيري" وهي أهم تعليم في كل من اليهودية والمسيحية ، وأن الفكرة الأساسية في العقيدة الإسلامية أن تشهد بأن " لا إله إلا الله ". ومن هنا نفهم أن هذه التعاليم تدعو إلى الإيمان بإله دينها الوحيد الصحيح ، ومع ذلك أرى أن ما يسعى كل دين للتعبير عنه بشكل مشترك هو أن المطلق الوحيد هو الإله أو الله ، وأن ما يبتدعه البشر من عقائد وأديان ونظريات دينية وأمم وأفكار قومية ليس مطلقاً ، وبعبارة أخرى إنها وثنية أن تعتبر أي شيء غير الإله أو الله مطلقا ، وخطأ الأصوليين هو خلط المطلق بالأديان أو خلط المطلق بالأمم.

قلق مزدوج

لقد مرت ثلاث سنوات على الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ورضخت الولايات المتحدة لقلق مزدوج ، الأول الخوف من الأخذ بيد الوطن إلى ساحة الحرب مرة أخرى ، فقد كنت في الولايات المتحدة إبان أحداث الحادي عشر أيلول/سبتمبر، وقد عشت أحداث إحياء ذكرى الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة كل عام ، وأدرك أن القلق بشأن الإرهاب الشامل والذي أشعر به عندما أكون هناك يتجاوز توقعاتي ، وإذا لم نأخذ هذا القلق والخوف في أمريكا بالحسبان فلا يمكننا أن نناقش أو نفهم ما يسمى بـ " عقيدة بوش "

ولا تعتقد الغالبية من الناس في الولايات المتحدة بأن الهجوم الاستباقي وحده يمكن أن يمنع الإرهاب ، ولكن هل يمكن أن يمنع الإرهاب إذا لم يلجأ إلى الهجوم الاستباقي كإجراء وقائي؟ اختار الرئيس بوش والأمة الأمريكية طريق اللجوء إلى الهجوم الاستباقي على أهداف قد تمثل خطراً محتملاً على الوطن ، ولقد شنت الولايات المتحدة الحرب على العراق وكأنها تريد أن تنسى قلقها وخوفها وظل الرئيس بوش ينشد على الدوام أنشودة " القضية الأمريكية " في الحرب على الإرهاب.

" والقضية الأمريكية "، كما ذكرت آنفاً، هي لحماية الحرية والحضارة ، وحرب العراق هي لتحرير الشعب المظلوم المحروم من الحرية تحت ظل نظام شمولي ، هكذا بررت الولايات المتحدة الحرب ، وباللجوء إلى كلمات المسيحية والإنجيل عبرت الولايات المتحدة عن المثل الأعلى في التنوير الذي هو " الحرية والمساواة وطلب السعادة " كما ينص عليها إعلان الاستقلال. ومن هذا المنطلق

الحرب في العراق " حرب عادلة " وبما أن 90% من الشعب الأمريكي يؤمن بإله الإنجيل فيمكن أن نعتبرها أيضاً " حرباً مقدسة".

ويبدو أن هيجان العواطف بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر آخذ في الزوال بمرور السنين ، وبدا أن عواطف الناس في أيام ذكرى تلك الأحداث منقسمة على نفسها مما تعدى توقعاتي ، وهنا شاهدت نشوء القلق الآخر عندما تكلمت عن القلق المزدوج ، وهو القلق والريبة فيما يتعلق بـ " القضية الأمريكية " ، وإن أحداث أيار (مايو) عام 2004 التي تتعلق بالإساءة إلى السجناء العراقيين في سجن الاعتقال في أبو غريب كان لها التأثير الأكبر الذي هز " القضية الأمريكية " بالنسبة لحرب العراق مما تذكرنا بـ " أعراض حرب فيتنام " التي بدأت بالظهور.

وفي ظل هذا الزمان المكفهر من المعاناة التزمت الجماعات المسيحية الحرة في الولايات المتحدة الصمت ، ولم تتجرأ على الكلام ، لقد حضرت أيام ذكرى 11 أيلول/ سبتمبر في عام 2003م و 2004م في القداس المسيحي في كنيسة كلايد ميموريال المنهجية المتحدة (Glide Memorial) في سان فرنسيسكو. وهذه الكنيسة معروفة دولياً على أنها كنيسة تعبر بصراحة عن وقائع الظلم والقهر في العالم بواسطة وسائل الإعلام المرئية المتعددة ، وما أدهشني أن قداس أول يوم أحد تلا يوم ذكرى أحداث أيلول عام 2003م و 2004م لم يشر إطلاقاً لهذه الأحداث أو للأعمال العسكرية الأمريكية التي أعقبتها ، وقد انتقد الوعاظ في موعظتهم التمييز العنصر والجنسي الداخلي وليس الاستراتيجية السياسية للعولمة الأمريكية[13].

ما هي الدروس التي تعلمتها أمريكا من حرب العراق؟

من المحتمل أن لا يتحمل الرأي العام الأعداد المتزايدة من الجنود القتلى والأعباء المالية الهائلة للحرب ، وأن الولايات المتحدة لا بد أن تنسحب بالتدريج من العراق ، وحتى يحل مثل هذا اليوم ماذا ستكون الولايات المتحدة قد تعلمت من خوض هذه الحرب؟ قبل طرح هذا السؤال ماذا تعلمت الولايات المتحدة من حرب فيتنام؟ عندما شاهدت منظر الشعب الأمريكي في حمى النصر في حرب الخليج عام 1991م لم أملك إلا أن أسأل ماذا تعلمت الولايات المتحدة من حرب فيتنام ، لذا أطرح نفس السؤال الآن حول حرب العراق ، وإن لم تحاول الولايات المتحدة أن تتعلم بجد فسوف يرتكب البلد نفس الخطأ مرة أخرى في المستقبل، خطأ جعل أمريكا صنماً كأمةٍ، خطأ جعل الأمة إلهاً.

والدين المدني الأمريكي، كشكل من أشكال التدين، نوعان: الدين المدني " الأصولي " والدين المدني " المتسامي ". وإذا درسنا تاريخ الدين المدني الأمريكي منذ تأسيس الأمة لرأينا أن الدين المدني الأصولي كان أقوى بشكل هائل من مثيله المتسامي ، ومع ذلك فإن الصفة المميزة للدين المدني الأمريكي هي أن الشكل المتسامي لم يختف أبداً حتى في الأوقات التي هيمن فيها الدين المدني الأصولي.

واليوم إن الولايات المتحدة في قبضة القلق المزدوج وبالكاد تسمع النداء بالتمسك بعلاقتها بالإله العالي المتسامي. ولم تخرج إلى الساحة شخصية قيادية موهوبة مثل مارتن لوثر كينغ الأصغر لينادي بالدين المدني الأمريكي المتسامي.

ولكي يمكن التغلب على الدين المدني الأمريكي " الأصولي " الذي يمثله الرئيس بوش من المهم أن نعترف بهذا الدين المتسامي الآخر ، وأن نرفع الصوت عالياً ونبدأ بالعمل من هناك.

هل يحق للولايات المتحدة أن تظل واقفة في العالم كـ " قوة عظمى وحيدة " بكل عنفوانها العسكري الهائل؟ وإذا كان الله هو المتعالي والمطلق الأوحد فإن عالم الإنسان نسبي ، ولولا أنني لا أجرؤ على إثارة سوء الفهم لقلت بأن العالم النسبي قد يكون ضرورياً أحياناً لممارسة الشر. والقضية المهمة فيما يتعلق بالدين المدني الأمريكي الأصولي الذي يمثله الرئيس بوش هي أن الطريق الحالي للدبلوماسية الأمريكية المضادة للعنف قد بُرِّرت على أنها " القضية " وليس " شراً بل خيار لا بد منه ".

يمتاز الرئيس بوش وابراهام لنكولن معاً بأنهما رئيسان للولايات المتحدة إبَّان الحرب ، وأشار لنكولن في خطابه أمام مجلس شيوخ ولاية نيوجسري في 21 شباط / فبراير عام 1861م إلى الشعب الأمريكي أنه " شعبه المختار تقريباً "[14] وعنى بعبارة " شعبه " شعب الله واختار كل من الرئيس بوش والرئيس لنكولن أن يلجآ إلى العمل العسكري وفي هذا الخصوص، لا فرق بينهما ، ولكن كلمة " تقريباً " التي استخدمها لنكولن لها معنى واضح ، عندما تقارن بالعبارات التي استخدمها الرئيس بوش ، فعبارة لنكولن تنم عن موقف يتحلى بالنقد الذاتي وموقف احترام للآخرين كذلك.

وإن الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة التي ساندتها " عقيدة بوش " بعد 11 أيلول/سبتمبر جعلت الوطن ساحة حرب ، إنها استراتيجية يقودها القلق والمخاوف من 11 أيلول/ سبتمبر ثانية وثالثة ، ومصدر القلق والمخاوف هو الهجوم على أبنية المركز التجاري العالمي وانهيارها والذي شاهده جميع الأمريكيين على التلفاز في ذلك اليوم أي في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام 2001م ويبدو أن الولايات المتحدة قد جعلت هذه الحادثة مطلقةً على أساس أن كل شيء يمكن تبريره على ضوء هذه الحقيقة.

وإذا التفتنا بأعيننا إلى الشرق الأوسط أو أفريقيا علينا أن نعترف بأن هنالك حقاق أكثر إيلاماً مثل القتل الجماعي ، وهي أحداث أشدَّ كارثية من 11 أيلول/سبتمبر ، ويوجد العديد من الأحداث على غرار 11 أيلول/سبتمبر في العالم، رغم ذلك، لا يلقى الاهتمام لا من الولايات المتحدة ولا من أي جزء آخر من أجزاء العالم ، وسبب ذلك هو الفجوة في المعلومات بين الشمال والجنوب والتي يقال بأنها أحد أسباب الإرهاب ، لذلك كان من الضروري التصدي لهذه " الفجوة المعلوماتية بين الشمال والجنوب ".

وعلى الولايات المتحدة اليوم أن تنظر بعمق وشمولية إلى تفاصيل مماثلة لأحداث 11 أيلول/سبتمبر التي يعاني منها الناس في مناطق خارج الولايات المتحدة ، وعلاوة على ذلك على أمريكا أن تعترف بأنها نسيت حقوق الإنسان الأساسية والكرامة التي " منحها الخالق للإنسان " في إعلان الاستقلال ، وهذه نقطة البداية أمام الولايات المتحدة لتتغلب على أصولية الدين المدني الأمريكي. وأنا أتطلع بحق إلى هذا الاعتراف وأحب أن أراه.

الهوامش والتعليقات

1 ستيفان مانسفيلد " عقيدة جورج و. بوش " جيريمي ب تارتشر طباعة بنغوين 2003.
2 السؤال هو : " هل تعتبر نفسك عضواً في حركة اليمين المتدين ؟"
http://www.gallup.com/poll/topic/religions4.asp 4
5 مجلة النظرة القبْليّة (Foresight) عدد آذار (مارس) عام 2002 ص 43.
6 انظر روبرت ن بيلا " الدين المدني في أمريكا " يتجاوز التصديق. مقالات عن الدين في عالم ما بعد التقاليد، مطبعة هاربر و رو عام 1970 ص 168 - 169
7 انظر كويتشي موري (" أمريكا " من منظور ديني)، كودانشا، 1996.
8 من صحيفة آساهي شيمبون (Asahi Shimbun) 3 تموز (يوليو) 2002.
9 كلنتون، وليلام جـ ، 1995، " المذكرة حول التعبير الديني في المدارس العامة"، من التجميع الأسبوعي للوثائق الرئاسية، مجلد 31، رقم 28 (17 تموز (يوليو)، ص 1229 - 1230).
10 من صحيفة هيرالد تربيون الدولية، 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.
11 PRRC" اتجاهات تظهر "، 1995 أيلول (سبتمبر) وفقاً للاستطلاع العام الذي أجري في أيلول عام 2003 من قبل USA Today و CNN واستطلاع جالاب فإن 78% من الناس دعموا فكرة " الصلاة غير الطائفية " في المدارس العامة. انظر " الباحث CQ " 30 تموز، 2004. صفحة 641.
12 " مقابلة مع الرئيس ماكنلي " في المحامي المسيحي (The Christian Advocate) 22 حزيران (يونيو) 1903. انظر جون إدوين سمايلي " الاكليروس البروتستانتي والدور العالمي الأمريكي 1865 - 1900: دراسة في المسيحية والقومية والعلاقات الدولية، أطروحة الدكتوراة كلية اللاهوت جامعة برنستون، 1959، ص 506.
4

13 ذكرت السيدة جانيس ميركيتاني (Janice Mirkitani) زوجة رئيس القساوسة السابق سيسيل ويليامز (Cecil Williams) وأحد قادة كنيسة جلايد ميموريال (Glide Memorial) في مقابلتي لها في الكنيسة في 12 أيلول عام 2004 بأن النقد السياسي يمكن أن يتجنب بسبب الهبات المالية التي تتلقاها الكنيسة عن طريق "المبادرة القائمة على الإيمان " (Faith. Based Initiative) " وقانون خدمة المواطن " (Citizen Service Act).
14 تكلم الرئيس المنتخب ابراهام لنكولن في ترنتون نيوجرسي في مجلس شيوخ الولاية في 21 شباط 1861 في رحلة تنصيبه كرئيس إلى العاصمة واشنطن.